

الميقطينيات وقاية وعلاج وغذاء

د. كمال فضل الخليفة

جامعة الخرطوم



يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * ذَا بَقٍ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ * سَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ *
 *الَّتِيقَمَ الْحَوَى وَهُوَ مَلِيْمٌ * لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ
 سَقِيْمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ آلٍ أَوْ يَزِيدُونَ *
 سورة المصافات

ففي هذه الآيات المباركات من القرآن الكريم حديث عن قصة نبي الله يونس - عليه السلام - حين ابتلعه الحوت وأنجاه الله من بطن الحوت الذي لفظه بالعراء، وعندنا أنبت الله عليه شجر من يقطين. والقرآن حق مطلق لا يأتيه الباطل، فهو كتاب من الله أحكم آياته ثم فصلت، وهو كتاب هدى في المقام الأول، والعبرة في هذه الآيات ماثلة واضحة في لجوء يونس - عليه السلام - إلى الله تعالى كما ذكر في موضع آخر: (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (سورة الأنبياء 87-88).

ولكن لمزيد من التدبير المطلوب وظهور إشراقات الإعجاز العلمي عاصرنا في مختلف مجالات المعرفة شاهدة على البشر أجمعين بتوافق آيات الكتاب الخاتم مع آيات الكون، وكيف لا وكل من عند الله قولاً وصنعاً، وهو - سبحانه - أحكم القول وأتقن الصنع، لهذا يمكن للباحثين في مجالات النبات والكيمياء والصيدلة والطب أن تتواصل بحوثهم داعية للإيمان وسط المؤمنين - بإذن الله تعالى -

أما عن الآيات التي صدر بها هذا المقال فكان هنالك تفكير وصل إلى تفكير علمي في ذواتين وانتهى ببحثين لدرجة الماجستير أحدهما قد أكمل وأجيز، والثاني قيد الإجازة بفضل الله.

بدأ مشوار التفكير والتفكير والبحث بموضوع الميقطين وبعض الحكمة من مناسبة ذكره في أحوال نبي الله يونس التي أوضحتها الآيات الكريزمات حيث مكث في بطن الحوت وخرج منها وهو سقيم حيث ذكر في التفسير بأنه مريض أو منهك القوى، قد يكون لما لاقاه من الالتقام وبطن الحوت ولفظه في العراء.

من أولى النقاط التي أردنا إمالة اللثام عنها ذكر «شجرة» فالآية أوضحت أنها (شجرة من يقطين) والذي يتبادر إلى أذهان الناس اليوم أن هذا الشجر (وهو ما يعرفه اختصاصيو الأشجار كذلك) نبات له ساق وتاج متميز وطول معين (لا يقل عن عشرين قدم عند أهل الاختصاص)، ولكن اليقطين وفصيلة الميقطينيات (القرعيات) عموماً هي نبات صغيرة وغالباً مفترشة على الأرض.

وبالبحث في آيات القرآن والملة عهد تنزل القرآن أتضح أن الشجرة تطلق على النبات عموماً، كما الأدابة تطلق على الحيوان عموماً، والجدير بالذكر أن القرآن لم يستعمل كلمة نبات إلا كاسم مصدر مثلاً:

(فأخرجنا به نبات كل شيء (سورة الأنعام الآية 99).

(والله أنبتكم من الأرض نباتاً (سورة زوح 17).

وكذلك لم يستخدم كلمة حيوان إلا بذات الطريقة:

(وإن الدار الآخرة لهي الحيوان

(العنكبوت 64.

ولكنه استخدم شجرة للنبات ودابة للحيوان كما في الآيات:

(ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب..
(سورة الحج 18.

(ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام
(سورة لقمان 27.

(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها..
(سورة هود 6.

وكذلك عندما نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن اقتراب صلاة الجماعة في المسجد لمن أكل البصل والثوم.

قال عمر - رضي الله عنه - : (ما أراهما إلا شجرتين خبيثتين)فكان العرب حينها يطلقون على النبات لفظ المشجر.

وبذا أجاب البحث في القرآن وفي الآثار عن كلمة شجرة، ثم ذكرت الآية أن الشجرة (أو النبات) من يقطين، والآية بعمومها هكذا بصيغة الإنكار ((من يقطين)) قد تفيد أنها من جنس أو قبيلة أو جهة اليقطين، وهي معروفة للعرب ببعض النباتات (يقطين، قرع).

واليوم قد يفهم أن كل الفصيلة يمكن إدخالها في عموم لفظ اليقطين وهي فصيلة الميقطينيات (أو القرعيات).

نعم قد يكون النبات المعين الذي أنبت على يونس - عليه السلام - هو يقطين معين يستعمله الناس في جزيرة العرب، ولكن - كما يقول أهل التصنيف النباتي - : إن الصفات المورفولوجية (الشكلية الظاهرة) والتشريحية تتشابه وتتقارب وتتشترك أحياناً بين أفراد الفصيلة الواحدة.

وكذلك يقول أهل الصيدلة:

إن المكونات الكيميائية قد تكون مشتركة بين أفراد الفصيلة الواحدة في النبات.

وبناء على ذلك فقد توجه البحث لمعرفة مكونات بعض الميقطينيات وأثرها الوقائي والعلاجي مستصحبين خروج يونس - عليه السلام - مريضاً أو ضعيفاً منهك القوى.

الجدير بالذكر أن الميقطينيات فصيلة كبيرة بها حوالي ألف نوع نباتي، وهي تنتشر في الأقاليم المدارية وشبه المدارية وشبه المدارية وتتميز بالأوراق الكبيرة وبالأزهار خماسية الأجزاء (المقطع) ومنها:

القرع العسلي، وقرع الكوسة، وقرع الأواني (قرع الزجاجة)، والعجور، والبطيخ (الحبب)، والشمام (البطيخ الأصفر)، والمقاون والليف (نبات متسلق)، والحنظل، وغيرها.

اختيرت بعض الميقطينيات المشهورة في البحث الأول واختبرت ضد البكتريا، والميقطينيات هي قرع الأواني واسمه العلمي (Cucumis melo Var. flexuosus) العلمي وأسمه والعجور (Cucurbita pepo) العلمي واسمه العسلي والقرع (Siceapia Lagenaria) والحنظل واسمه العلمي (Citrullus colocunthis) حيث زرع الأنواع الأربعة، ومن ثم تم تحضير مستخلصات مائية، كحولية (المحول الميثانولي) ومستخلص الكلوروفورم لمختلف أعضاء النباتات من الأنواع الأربعة.

وتم اختبار هذه المستخلصات ضد أربعة أنواع من البكتريا وهي العنقودية الذهبية واسمها العلمي (aureus Staphylococcus).

والبكتيريا المعصوية المدققة واسمها العلمي (Subtilis Bacillus) والبكتيريا الماشريكية القولونية واسمها العلمي (coli Escherchia) والبكتيريا الزائفة الزنجارية واسمها (aeruginosa Psudomonas).
أولاً: أظهرت جميع الأنواع الأربعة من المقطنيات فعالية ضد البكتيريا ثم اختلفت درجة هذه الفعالية باختلاف نوع النبات والعضو المستخدم منه والبكتيريا والمستخلص.

أعطى المقرع العسلي (من الأوراق) والحنظل (من الثمار) أعلى فعالية ضد البكتيريا، كما أعطى طور الأزهار للنبات أعلى فعالية بالنسبة للأطوار الأخرى.

وكان المستخلص الكحولي الميثانولي هو أقوى المستخلصات فعالية وفي التجزئية الميثانولية للمستخلص كانت خلاصات الميثانول أعلى فعالية (مقارنة بالبيوتانول والأثير البترولي).

بالنسبة للبكتيريا كانت الحساسية ضد البكتيريا موجبة القرام (Gram-) أقوى منها في البكتيريا سالبة القرام (ve-Gram).

وكل هذا يؤكد تأثير المقطنيات الناجح (وقاية وعلاجاً) ضد الميكروبات خاصة البكتيريا، أما بالنسبة للبحث الثاني فقد انطلق لمعرفة تأثير المقطنيات على الحشرات. واختبرت بعض المقطنيات منها قرع الأواني والحنظل السلفي الذكر ثم قرع الكوسة.

على بعض الحشرات مثل الذباب المنزلية وآفات المخازن، هذا وقد ود حتى الآن أثر طارد لكل من لحنظل قرع الأواني وقرع الكوسة على آفات المخازن (castaneum Tribolium) وتأثير على تطور عذراء الذبابة المنزلية.

هذا ولما زال البحث جاريًا في هذا المضمار، وهو يؤكد تأثير المقطنيات الواقية ضد الحشرات وبالتالي الأمراض التي تنقلها.

أما أهم المواد الكيميائية الطبية الموجودة في المقطنيات فهي كوركوبيتين Cucutbitacins وهي أنواع عديدة تختلف باختلاف أنواع المقطن، وهي تنتمي إلى التربينات الثلاثية المسماة (tritenes Tetracyclic). كما توجد مواد أخرى مثل بيتوزيد، حمض ستراولين، لوسين وتيروزين هذا وقد عرفت شعبياً علاجات ناجحة لبعض المقطنيات ضد العديد من الأمراض فمثلاً:

*يستخدم المقرع الطويل في عمل (لبخات) على حروق النار والرضوض والإلتواءات.

*كما يستخدم عصير ثمرة المقرع مرطباً ومليناً وقاطعاً للحمى عند ارتفاع درجة الحرارة.

*فهل يمكن أن يضاف كل ذلك لذكر المقطنين مع حالة يونس - عليه السلام - فور خروجه من بطن الحوت، وبغض النظر عن أكل سيدنا يونس - عليه السلام - من المقطنين المذكور أو عدم أكله منه، فإنه - أي المقطنين - جيد الغذاء سهل الهضم لا تجهد ثماره المعدة ولها الأمعاء ومفيداً جداً لمرضى القلب والشيوخ والناقهين عموماً!!

كما أنه ذو قيمة عالية جداً من فيتامين (أ) مما يوضح فوائده للبصر في عدم جفافية قرنية العين والأغشية المخاطية المبطنة للجسم، فهو يحتوي على 7.810 ملجم لكل مائة جرام.

كما يحتوي على نسبة معقولة من فيتامين (C) (21 ملجم) والكالسيوم (48 ملجم) والفسفور (33 ملجم) ونسب قليلة من فيتامين (B) والحديد والنشا والسكر والبروتين والدهون.

وأخيراً هنالك استخدامات علاجية من البذور (ضد الديدان) وضد الحروق والالتهابات أيضاً وأكد بعض الدراسات أن أكل المقرع الأصفر يمنع السرطان (3). وهنالك تأثير في حالات التهابات المسالك البولية وعسر البول وحرقتها وهو ملين ومفيد لمرضى القولون الغليظ.

هذا وينبغي أن تكثف البحوث أكثر وأكثر حول هذا النبات المبارك (المقطن)، أو المقرع المأكول والمقطنيات عموماً، مزيداً للفائدة وإظهار لإعجاز القرآن العلمي في عصرنا، كما يبحث في الجوانب النفسية أي أثر المقطن نفسياً على الإنسان، والله أعلم خاصة وأنه ورد أكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له وتتبعه له من حوالى القصعة (صحيح البخاري عن أنس) وفي رواية:

(إنها شجرة أخي يونس).

المراجع:

1 - القرآن الكريم.

2 - الكشاف للكلمات الزراعية في القرآن، للكاتب جامعة الجزيرة، السودان (1998).

3 - نباتات القرآن والسنة وفوائدها العلاجية، للكاتب الناشر والمسابق (1996).